قرئ : والبحر بالنصب عطفا على اسم إن وبالرفع عطفا على محل إن ومعلموها على معنى : ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت كون البحر ممدودا بسبعة أبحر . أو على الابتداء والواو للحال على معنى . ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود : وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول . وقرئ : تمده ويمده بالتاء والياء . فإن قلت : كان مقتضى الكلام أن يقال : ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد . قلت : أغنى عن ذكر المداد قوله : يمده لأنه من قولك : مد الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادا أبدا صبا لا ينقطع . والمعنى : ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر مدود بسبعة أبحر . وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات ا لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله تعالى : " قل لو كان البحر مدادا لكالمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي " الكهف : 109 فإن قلت : زعمت أن قوله : " والبحر يمده " حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجعإلى ذي الحال . قلت : هو كقوله : وقد أغتدى والطير في وكناتها و : جئت والجيش مصطف . وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف . ويجوز أن يكون المعنى : وبحرها والضمير للأرض فإن قلت : لم قبل : " من شجرة " على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر ؟ قلت : أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاما . فإن قلت : معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه ؟ وعن ابن عباس Bهما : أنهما نزلت جوابا لليهود لما قالوا : قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل : إن المشركين قالوا : إن هذا - يعنون الوحي - كلام سينفد فاعلم ا أن كلامه لا ينفد . وفد قريش أن يقولوا لرسول ا A : ألست تتلو فيما أنزل عليك : أنا أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ " إن ا عزيز " لا يعجزه شئ " حكيم " لا يخرج من عمله وحكمته شئ ومثله لا تنفد كلماته وحكمه . " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن ا سميع بصير " " إلا كنفس واحدة " إلا كخلقها وبعثها أي : سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد : أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك " إن ا سميع بصير " يسمع صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث .

" ألم تر أن ا يولج اليل في النهار ويولج النهار في اليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن ا بما تعملون خبير ذلك بأن ا هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل

وأن الله هو العلي الكبير " كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم : الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر . وعن الحسن : الأجل المسمى : يوم القيامة . لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ . دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيربين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب . وبإحاطته بجميع أعمال الخلق : على عظم قدرته وحكمته . فإن قلت : يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى : أهو من تعاقب الحرفين ؟ قلت : كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن . ولكن المعنيين : أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض ؛ لأن قولك يجري إلى أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى . ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة . وجري القمر عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون . فكيف بالجماد الذي تدعون من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته . وأن من دونه باطل الإلهية " وأن الله هو العلي " الشأن " الكبير " السلطان . أو ذلك الذي أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إلها غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به .

" ألم تر أ الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من ءاياته إن في ذلك لأيات لكل صبار شكور "